أبو دلف الخزرجي

دراما في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

نصر بن أحمد الأمير السامانى	وانج كوسنج ـ حاكم كانتون (في الصين)
أبو دلف الخزرجي	تشانج تشنج وو ـ رسام صيني
عبد الباسط ـ تابع أبي دلف	وانج مي لي ـ ابنة حاكم كانتون

المنظر الأول

(في ميناء كانتون على نهر سيجان قبيل الغروب في يوم من نيسان سنة ٩٤٢ م) .

عبد الباسط (خائفا) ـ تمساح ، والله ، تمساح.

أبو دلف (متعجبا) ـ أين؟ أين.

عبد الباسط ـ هناك ، هناك ، الى اليمين .

أبو دلف ـ لا أرى شيئاً . ولم أسمع عن تماسيح في هذه المياه .

عبد الباسط (ملهوفا) ـ تأمل يا أبا دلف ! صدقني . تأمل ، هناك لا هنا .

أبو دلف ـ هذا دوار البحر يا عبد الباسط .

عبد الباسط (خائفا) هذا رأسه يظهر ويختفي ، وهذه يده تمسكة بعود . وها هو يرمقني بعينين ناريتين كأن بيني وبينه ثأراً !

أبو دلف ـ يا عبد الباسط ، لا بدّ أنك تحلم . هذا هذيان يا صاحبي . من قال إن تمساحاً يجلس في دكان لترويع المسافرين ، التماسيح تعيش في الماء يا صاحبي ونحن على اليابسة .

عبد الباسط ـ ها هو ، ها هو ، وهو يشير إليّ بالوقوف . هذه ـ لا ريب ـ بلاد العجائب . هذا تمساح بري بلا شك .

أبو دلف ـ لا حول ولا قوة إلا بالله . سأسأل عن بيمارستان المدينة لأتركك فيه

حتى تثوب الى رشدك .

عبد الباسط ـ لولا عنادك يا ابا دلف لرأيته رأي العيان . انظر . انظر . ها هو يشير إليك . إنه أمامك مباشرة .

ابو دلف ـ إننا لم نخط خطوة واحدة منذ تركنا المراكب وشغلتنا بهذا النساح الخراقي . وإذا لم تقلع عن هـذا الهذيان فليس أمامي إلاّ أحد امرين : إما العودة الى المراكب او حبسك في بيمارستان .

عبد الباسط ـ بيمارستان يا ابا دلف . اهـذا جزائي لتحذيري اياك . ورأس مولانا الامير رأيته ينظر اليك بعينين تكادان تأكلانك . انا لا اخاف على نفسي بل خوفي عليك . فأنت تبضّ باللحم والشحم ، ولا بدّ انه باديء بك . وقد يتخم فينصرف عني

ابو دلف ـ لا حول ولا قوة إلاّ بالله . هلمّ بنا يا رجل .

عبد الباسط ـ انظر . انظر ها هو يشرئب إلينا .

ابو دلف ـ من يا مجنون . هذا . هذا رجل مثلي ومثلك . هو صيني عجوز لا اكثر ولا اقل . فأي شبه بين وجهه ووجه النساح . ومتى كانت التماسيح ضفائر . ومتى كانت تتزيّا بملابس . ومتى كانت توظف في الحوانيت . لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ثب إلى رشدك يا عبد الباسط ولا تجعلنا اضحوكة بين اهل هـذه البلاد الغريبة التي نجهل لغتها وعاداتها . ثم اين الخرجان يا عبد الباسط .

عبدالباسط ـ (دهشا) الخرجان .

ابو دلف ـ نعم . الخرجان . هل فقدت متاعنا في اثناء هذرك عن النساح .

عبد الباسط ـ (برجلا) الخرجان . اي والله لقد سرقا .

ابو دلف ـ إذن الويل لك ولي ، ففيهما كل ما نملك ، وستخيب مهمتنا ، وسنرجع بأسوأ من خفي حنين ، وإن شاء الله سوف يقطع رأسك ورأسي .

عبد الباسط (مضطربا سائلا) الخرجان يا مؤمنون . الخرجان . الخرجان

ابو دلف ـ إخرس يا أبله ولا تجمع الناس حولنا . لا مؤمنون هنا ولا عرب ولا بد من اللجوء الى الحاكم لانقاذنا .

عبد الباسط ـ الحـاكم . الحاكم .

أبو دلف ـ أجل . الحـاكم وإلاّ أكلنا الناس قبل التماسيح .

المنظر الثاني

الفريق : في مصر وانج كورسنج حاكم كانون الثاني سنة ٩٧٨ يوم عرج إليه أبو دلف وتابعه عبد الباسط لاقاتهما بعد أن غادرا منافيهما . وجلس الحاكم وإلى جواره ابنته ، وانج بي لي يستقبلان الزائرين .

الفريق : يسير أبو دلف وبصحبته عبد الباسط و الزهدة متجهين الى حجرة الحاكم للفترة الباب أمامهما فيعتر عبد الباسط في بساط الزهدة .

أبو دلف ـ (بصوت خافت) ماذا أصابك يا رجل . أمزمع فضيحتنا مرة أخرى .

عبد الباسط (بصوت خافت) ألم تر ما حدث.

أبو دلف (بصوت خافت)ـ ماذا . أعصاح آخر.

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ ألم تر الجندي يهز قبضتي يديه معاً محوفا .

أبو دلف (بصوت خافت) ـ وماذا في ذلك .

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ هذا والله نذير شؤم ، فهو تهديد صريح .

أبو دلف (بصوت خافت) ـ أي تهديد يا مجنون والجندي يحييك .

عبد الباسط(بصوت خافت)يحييني . سبحان الله .

أبو دلف(بصوت خافت) ـنعم ،فهذه التحية الصينية ، وكان عليك أن تحييه بمثلها . والآن صه فها نحن في حضرة الحاكم وسيدة معه ، ولتكن رابط الجأش .

(يتقدمان نحو الحاكم)

ابو دلف ـ سلام على سيدنا الحاكم .

عبد الباسط ـ س . س . س . سلام !

وانج كورسنج ـ وعليكما السلام .

ابو دلف (بصوت خافت مخاطبا عبد الباسط)ـ لا تفضحني يا رجل .

وانج كورسنج ـ يظهر ان زميلك متعب ، ، فاجلسا .

ابو دلف ـ حقيقة يا سيدي هو متعب ذهنيًا .

عبد الباسط (مرتفعا بصوت خافت)ـ ذهنيًا يا ابا دلف . اتريد إدخالي البيمارستان . اصمت على الغدر بي .

ابو دلف ـ هو متعب ذهنيًا وقد اكون مثله ، فقد فقدنا خرجينا وفيهما كل ما نملك

وانج كوسنج ـ اما عن خرجيكما فهما بأمان عندي وستتسلمانهما ، وقد نسيتهما ، واما عن زيارتكما ايّانا فانّا نرحب بها ، فاذا وراءكما .

ابو دلف ـ (شكراً يا سيدي) إني مكلف من قبل سيدي الأمير السامائي نصر بن احمد لرفع شكره على ارسال اميركم نمثله لخطبة فريدته ابنة امير بخارى .

وانج كوسنج ـ اهلاً بكم وسهلاً . دعاني اقدمكما إلى ابنتي وانج مي لي .

وانج مي لي ـ اهلا بكما . أأنتما من العرب .

ابو دلف ـ اجل يا سيدتي .

وانج مي لي ـ إن زميلك الشاب وسيم الطلعة . فهل هذا طابع شبابكم . لقد رسمكما في المرفأ احد مصورينا ومعي صورتكما هذه وقد كنتما في غفلة عنه .

عبد الباسط ـ يا سلام إحم إحم كلا يا مولاتي . إحم . إني اعدّ مثالاً ناصراً وكان المرحوم والدي يقول !

ابو دلف ـ لا تؤاخذيه يا مولاتي . فانه ما يزال مصاباً ببعض الدوار .

عبد الباسط (بصوت خافت) دوار يا غيور . اجننت .

ابو دلف ـ إن أهم ما يوصف به شباب العرب فروسيتهم ، وشهامتهم ، وكرمهم ، ونحن جميعاً نؤمن بقول رسولنا الكريم « اطلبوا العلم ولو في الصين » ولذلك جئنا إليكم مستفيدين . واما زميلي فسحته مألوفة ، واصلح منها واجمل طلعة خيلنا وبقرنا .

عبد الباسط (مدمدما) ـ خيلنا وبقرنا . استغفر الله من ذنوبي . خيلنا وبقرنا . خيلنا .

المنظر الثالث

المكان : في قصر الأمير السامائي نصر بن أحمد مدينة بخارى في شتاء يوم من سنة ٩٤٢ ، وقد عاد من السفر بعد انجاز مهمته في الصين أبو دلف الخزرجي يصحبه تابعه عبد الباسط .

الأمير نصر — لا تتوقف يا أبا دلف إن قصيدتك رائعة .

أبو دلف (مكملا التناوه) ـ :

ومن كان من الأحرار يسلو سلوة الحر ولا سيما في الغربة أودى كثر الصبر
وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر فطابت بالنوى نفسي على الامساك والهجر
على أني من القوم الهاليل بني الفرّ فنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من (الصين) إلى (مصر) إلى طنجة، بل في كل أرض خيلنا تسري
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر

الأمير نصر ـ أحسنت يا أبا دلف. هذه هي الروح العربية الوثابة التي جابت الأقطار وفتحتها مستفيدة ومفيدة، فرفعت لواء العلم والحضارة. وهذه هي تعاليم الاسلام الحكمة التي تدعونا الى التفتيش في مناكب الأرض، وتحثنا على الهجرة والكفاح في طلب الرزق والمنعة والسؤدد، مع البر دائماً بالوطن الأول. فنعم اقدامكم أيها الرحالة. إنكم لتحسنون إلى سمعة العرب عامة، على غير حال القابعين الخائفين. وإني لفخور بك يا أبا دلف، وأهنىء نفسي إذ أهنؤك بنجاح مهمتك:

أبو دلف ـ مديح مولاي من نبع يخص به فنه أستق رحيلي حين أسقيه
الله خص به ما عز من خلق والله ينبل محييه ومثويه.

الأمير نصر ـ والآن يا أبا دلف حدثني أكثر عن الغرائب التي رأيتها في الصين، فحديثك شائق مفيد.

أبو دلف ـ منذ اللحظة الأولى لنزولنا إلى البر واجهنا الغرائب يا مولاي. وبينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه عن تمساح في حانوت.

الأمير نصر (مقاطعاً متعجباً) ـ تمساح في حانوت.

عبد الباسط ـ اي والله يا مولاي.

أبو دلف ـ لا تحلف يا رجل.

أبو دلف (تابع) ـ بينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه وقد أفقدنا خرجينا.

عبد الباسط (مقاطعاً) ـ وجدناها يا مولاي.

أبو دلف ـ لا تقاطعني يا رجل، وتأدب في حضرة الأمير.

عبد الباسط ـ العفو يا مولاي.

الأمير نصر ـ استمر يا أبا دلف غير مقاطع.

أبو دلف ـ بينما كان هذا الغبي يدلل على لا شيء ، مخلوع القلب لرؤية عجوز صيني في حانوت بالمرفأ ، حاسبه تمساحاً ربما من نوع لم تعرفه الأوائل ولا الأواخر ، كان ذلك الصبي مكلفاً من قبل الحكومة برسمنا على لوحة من الخشب لأننا غريبان ويجب الحكومة أن تتعقب كل غريب في البلاد ، محتفظة برسمه لدى الحاكم . وفي الوقت ذاته تكلم شرطي من أخذ خرجيا بخمة عجيبة دون أن نراه حتى يفحصهما الحاكم ، ليتأكد من أننا لسنا من العيون والجواسيس . كل هذا جرى ونحن لا ندري ، بفضل الحيلة التي أثارها عبد الباسط وكاد يضحك الناس منا .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . هذه قصة طريفة .

أبو دلف ـ ولم يكتف بذلك يا مولاي ، بل شاء أن يقابل بنت الحاكم بمجرد أنها جاءتنا بكلمة لطيفة . ودهينا الى الطعام فحاول أن يقلد الصينيين أكل الأرز بعودين فما أكل أرزة واحدة ، وبدل ذلك نثر الأرز في عيون الضيوف فلكه أحدهم . ولم يكفه كل هذا فأراد أن يتنكر في زي صيني ليخفق مني ويداعب بنات كانتون ، ولكن سرعان ما كشفت أمره .

عبد الباسط ـ اتق الله يا رجل .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . لا ريب انه كان نعم النديم لك .

ابو دلف ـ والأدهى من كل هذا انه سمع مني عن اولئك التجار المتهتكين والشطار المحتالين الذين يطوفون الأقاليم ويتفننون في اختراع الحيل للحصول على المال ، فتظاهر بمثل هذه البراعة في رهط من أثرياء الصينيين ، مدعياً انه يستطيع ان يأكل بيضة كاملة بقشرتها دقيقة واحدة فتستحيل إلى فروج يخرج سليماً من انفه .

الأمير نصر ـ ها . ها ها . عدنا إلى عصر المعجزات .

ابو دلف ـ ولست ادري يا مولاي كيف توهم ان حيلته يمكن ان تنطلي على اولئك القوم . ولكني ادركته فاقد الوعي مصفراً بالبيض الذي ضرب به ام رأسه ، وقد وجد في جيبه فروج ميت .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . يا ليتني كنت بصحبتكما .

أبو دلف ـ لقد تسمت أن أبلغ مولاي الأمير كل ما جرى على علاته ، لا شاكياً ولا متعجباً . أما أعجب ما صنعه عبد الباسط ، وقد زاد به الطين بلة ـ كما يقال ـ فهو أنه .

عبد الباسط (مقاطعا صارخا) ـ الفساح . الفساح . هذا هو .

الأمير نصر ـ ماذا جرى ، ادرك الرجل . لقد أغمي عليه .

(يسمع صوت سقوطه ، ورفع اقدام مقتربة)

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ التفاح .

أبو دلف ـ هذا وهم تمكن من نفسه ولم أستطع يا مولاي أن أقتله . وهذا هو الرسام الصيني الذي حدثت مولاي عنه قادم ، فارتاع عبد الباسط لرؤيته وعاودته ذكرى التفاح الخرافي . ولست ادري لماذا يحضر تشنج وو متجشماً مشقة السفر .

الأمير نصر ـ اترك زميلك راقداً حتى يفيق ، سنرى ما هو امر هذا الزائر .

تشانج تشنج وو ـ السلام على الأمير المعظم .

الأمير نصر ـ وعليك السلام ، خذ مكانك على الرحب والسعة .

تشانج تشنج وو ـ إن مولاي ساكم كانتون اوفدني بهذه الهدية إلى سموكم (يناوله إياها) إنها رسم هذا السيد وزميله عندما نزلا غرفاً كانتون ، وقد صورتهما على هذه اللوحة الخشبية وأمر مولاي ان اضع نفسي تحت تصرف سموكم إذا ما اعجبكم هذا الفن ، واردتم ان اخدم سموكم ، وقد زودني بهذه الرسالة الرسمية اليكم (يناوله اياها)

الأمير نصر ـ إن هذا لطف عظيم وتفضل من سيدك ، وسأكتب إليه شاكراً واما الهدية ذاتها فتحفة رائعة سأعتز بها ، وسأستبقيك مكرماً لتمارس فنك بيننا ولتعلم مواطنينا الصالحين له

إن ديننا الحنيف كما يدعو الى السلوك القويم والتقوى — يدعو الى الاستمتاع بطيبات الحياة والى تقدير الجمال والنطق به وفنك أيها الضيف العزيز هو من الوان الجمال المهذب انه لفن رفيع ، والاسلام نصير لجميع الفنون الرفيعة ، كما انه نصير لجميع المثل العليا ، فأهلاً بك ومرحباً

تشانج تشنج وو ـ دام مجدك يا سيدي

الأمير نصر — لا ريب ان عبد الباسط عند ما يثوب الى رشده سيسر من رؤية صورته معك على هذه اللوحة المتقنة ، كما سيبتهج لهذا اللقاء الذي لم يكن ينتظره كيف حاله الآن يا ابا دلف (يذهب اليه ابو دلف ليفحصه)

(موجها خطابه الى تشانج تشنج وو) عاد عبد الباسط معتل الصحة من مشقة السفر ، وتصيبه احياناً نوبات اغماء ، ولكن لا خطر عليه ولا ريب انه سيبتهج لرؤيتك

ابو دلف — أخذ يستعيد وعيه يا مولاي ها هو يفتح عينيه ويتأمل

عبد الباسط (صارخا مشيرا وقد شاهد تشانج تشنج وو بجانبه) — التفاح التفاح !.